مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث
Enki Foundation for Studies and Research

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث
Enki Foundation for Studies and Research

تداعيات الحرب الإيرانية الإسرائيلية: رؤى استراتيجية ودروس مستقبلية

إعداد: الدكتور حيدر الخطيب

بالاستناد إلى أوراق بحثية مقدمة من:

الاستاذ الدكتور طارق عبد الحافظ الزبيدي
الاستاذ الدكتور مصدق عادل
الاستاذ المساعد الدكتور صفوان قصي عبد الحليم الطه
المدرس المساعد ليث العبيدي

بمشاركة: شبكة الباحثين والخبير الضيف:
الدكتور محمد الشمري (خبير العلاقات الدولية)

مقدمة

شهدت منطقة الشرق الأوسط مؤخرًا تصعيدًا عسكريًا غير مسبوق بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والكيان الإسرائيلي، امتد لاثني عشر يومًا من المواجهة المباشرة، التي هزت أركان التوازنات الإقليمية والدولية. هذه المواجهة -التي انتهت بهدنة هشة- لم تكن مجرد صراع عسكري عابر، بل كانت بمثابة اختبار حقيقي لمعادلات القوة في المنطقة، وكشفت عن تحولات جوهرية في طبيعة الصراعات الإقليمية ومحدداتها.

لقد أثبتت هذه الحرب أنَّ العصر الذي كانت فيه إسرائيل تتمتع بهيبة عسكرية لا تُقهر قد ولى، وأن نظرية الردع الاستراتيجي التي بُنيت عليها السياسة الإسرائيلية لعقود قد تصدعت أمام قدرة إيران في الرد المتدرج والمؤثر. كذلك فإن هذه المواجهة لا يمكن فصلها عن التحولات الجارية في النظام الدولي، إذ ننتقل من مرحلة الهيمنة الأحادية إلى مرحلة جديدة تتسم بعودة العامل الآيديولوجي بقوة، وهو ما يظهر واضحًا في دوافع الجمهورية الإسلامية الآيديولوجية، والكيان الإسرائيلي، وحتى الولايات المتحدة، المتأثرة بالتحريض الآيديولوجي من قبل إدارة ترامب، كذلك كشفت عن أن الولايات المتحدة الأمريكية –على الرغم من دعمها اللوجستي والعسكري لإسرائيل- لم تكن مستعدة للانخراط المباشر في المواجهة، مما يعكس تغيراً في الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة.

من ناحية أخرى، أظهرت المواجهة مستوىً عاليًا من التماسك الداخلي في إيران، إذ أن وقوف الشعب الإيراني -بمختلف أطيافه الدينية والسياسية- صفًا واحدًا ضد العدوان الخارجي، وهو ما يؤكد أن الهوية القومية والثقافية ما تزال تشكل عاملًا حاسمًا في قدرة الشعوب على الصمود. في المقابل، شهد الكيان الإسرائيلي تراجعًا في الروح المعنوية، تمظهر في موجات هجرة جماعية، مما يطرح تساؤلات جدية حول استدامة المشروع الصهيوني على المدى البعيد.

بالنسبة للعراق، فقد نجح إلى حدٍ كبيرٍ في النأي بنفسه عن المواجهة المباشرة، مُظهرًا نضجًا دبلوماسيًا، وتوازنًا في التعامل مع التحديات الإقليمية. لكن هذا الموقف طرح في الوقت نفسه تساؤلات مهمة حول ضرورة تطوير القدرات الدفاعية العراقية، خاصة منظومات الدفاع الجوي، في ظل الانتهاكات المتكررة للأجواء العراقية من قبل الأطراف المختلفة.

إن فهم تداعيات هذه الحرب يتطلب تحليلًا معمقًا لأبعادها المختلفة: السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية، كذلك يتطلب فهماً لطبيعة الصراع نفسه، هل كان هجوماً "وقائياً" ضد تهديد متخيل؟ أم "استباقياً" ضد تهديد مؤكد؟ فبينما يرى العالم أن "التهديد النووي الإيراني" تهديد متخيل، تصر إسرائيل على أنه مؤكد، مما يكشف عن البعد الإعلامي والبروباغاندا في هذا الصراع، ولهذا عقدت شبكة إنكي للبحث العلمي جلسة علمية مختصة بالحرب، تناولت فيها الأبعاد المختلفة، وبحثت القضية بطريقة دقيقة عبر أربع أوراق بحثية متكاملة، بحضور خبراء مختصين من الشبكة، مع الخبير في العلاقات الدولية الضيف الدكتور محمد الشمري، بهدف استخلاص الدروس والعبر التي يمكن أن تفيد صناع القرار في المنطقة.

ملخص الأوراق البحثية المقدمة

الورقة الأولى: الحرب وتداعياتها - منظور استراتيجي

قدم الدكتور طارق عبد الحافظ تحليلاً شاملاً للجوانب الاستراتيجية للمواجهة، مؤكداً أن "الهدنة الحالية هشة للغاية، ولم تكن نابعة من رغبة أمريكية أو إسرائيلية، بل جاءت نتيجة ضغوط فرضتها الوقائع الميدانية". تناولت هذه الورقة محاور أساسية عدة: أولها: كيف غيرت إيران من نمط هجماتها لتربك الدفاعات الإسرائيلية، وثانيها، كيف انعكست المعادلة من حرب استنزاف مخطط لها ضد إيران، لتصبح إسرائيل هي الطرف المستنزف. كذلك سلطت الضوء على الاضطراب الواضح في المواقف الأمريكية، والذي عكس غياب خطة استراتيجية واضحة من واشنطن.

طرحت هذه الورقة تساؤلات مهمة حول مستقبل التوازنات الإقليمية، ودور روسيا والصين المحدود في دعم الحلفاء، وضرورة اعتماد كل دولة على قدراتها الوطنية الذاتية في مواجهة التحديات.

الورقة الثانية: الأبعاد السياسية للحرب - قراءة في المواقف الدولية

ركز الأستاذ ليث العبيدي على تحليل مواقف الأطراف الرئيسة في المواجهة، مشيراً إلى أن "الكيان الإسرائيلي اتخذ قراراً استراتيجياً بالانتقال من سياسة الحرب بالوكالة،

إلـى المواجهـة المباشـرة"، مسـتغلاً نجاحاتـه التكتيكيـة فـي سـوريا ولبنـان كمقدمـة لتوجيـه ضربـة مباشـرة لإيـران.

تناولـت الورقـة بالتفصيـل كيـف تسـعى الولايـات المتحـدة لفرض نفسـها كوسـيط ظاهري، فـي حيـن أنهـا تعمـل عمليـاً علـى احتـواء النظـام الإيرانـي، وكيـف يفتقـر الاتحـاد الأوروبـي إلـى موقـف مستقـل، علـى الرغـم مـن قلقـه مـن تداعيـات تغييـر النظـام فـي إيـران. كذلـك سـلطت الضـوء علـى بـروز محـور ممانعـة دولـي جديـد يضـم دولاً مثـل (باكسـتان، وتركيـا، والجزائـر)، وأكـدت أن المنطقـة تشـهد محاولـة لإعـادة تشـكيل التوازنـات مـن قبـل لاعبيـن أسـاسيين همـا: (الكيـان الإسـرائيلي وتركيـا)، إذ تسـعى إسـرائيل لرسـم رؤيتهـا الكاملـة فـي الشـرق الأوسـط، بينمـا تمـارس تركيـا دوراً مؤثـراً فـي سـوريا والسـودان وليبيـا والبحـر الأحمـر.

أثـارت هـذه الورقـة أسـئلة حـول طبيعـة التحالفـات الدوليـة فـي عصـر تعـدد الأقطـاب، ومـدى اسـتدامة الدعـم الأمريكـي لإسـرائيل فـي ظـل التغيـرات الجيوسياسـية العالميـة.

الورقة الثالثة: التداعيات المالية والاقتصادية - تقييم المخاطر والفرص

قـدم الأسـتـاذ المسـاعد الدكتـور صفـوان قصـي عبـد الحليـم الطـه تحلـيلًا شـاملًا للتأثيـرات الماليـة والاقتصاديـة للصراعـات الإقليميـة علـى الاقتصـاد العراقـي، محـذراً مـن "ضـرورة الوقايـة مـن المخاطـر قبـل حدوثهـا، لكـي نقلـل التأثيـرات المحتملـة، ونجنـب شـعب العـراق هـذه المخاطـر قـدر المسـتطاع". تناولـت هـذه الورقـة المتغيـرات الماليـة والاقتصاديـة الحاسـمة التـي تواجـه العـراق، بـدءاً مـن مخاطـر تجميـد الأرصـدة الخارجيـة وتأثيرهـا علـى السياسـة النقديـة، مـروراً بالتهديـدات الأمنيـة لبيئـة الاستثمـار، وانتهـاءً بضـرورة تنويـع الإيـرادات النفطيـة، وتطويـر البنيـة التحتيـة الاقتصاديـة. كذلـك سـلطت الضـوء علـى أهميـة مكافحـة الفسـاد المالـي، وتطويـر النظـام المصرفـي لمواجهـة تحديات المستقبـل.

طرحـت الورقـة تسـاؤلات مهمـة حـول كيفيـة تحقيـق الاسـتـقلال المالـي للعـراق، وضـرورة تنويـع مصـادر الدخـل، والاستثمـار فـي الطاقـات المتجـددة والقطاعـات الإنتاجيـة لبنـاء اقتصـاد مقـاوم للصدمـات الخارجيـة.

الورقة الرابعة: الموقف القانوني العراقي - تحديات السيادة والالتزامات الدولية

قدم الدكتور مصدق عادل تحليلًا قانونيًا دقيقًا لموقف العراق من المواجهة، موضحًا أن "استخدام الأجواء العراقية لقصف إيران يُعد جريمة عدوان وفقاً لقرار الجمعية العامة ٣٣١٤ لسنة ١٩٧٤"، وأن العراق يواجه "جريمة عدوان مزدوجة" نتيجة استخدام أجوائه من قبل الطرفين.

تناولت الورقة الالتزامات المتبادلة بين العراق والولايات المتحدة في إطار اتفاقية الإطار الاستراتيجي، وكيف تنصلت واشنطن من التزاماتها في حماية الأجواء العراقية. كذلك سلطت الضوء على الإشكاليات القانونية المتعلقة بعدم إيداع الاتفاقية لدى الأمم المتحدة، مما يطرح تساؤلات حول مدى اكتمال السيادة العراقية. وطرحت هذه الورقة أسئلة جوهرية حول كيفية تعامل العراق مع التزاماته الدولية، وضرورة إعادة النظر في اتفاقياته الأمنية بما يضمن حماية السيادة الوطنية.

دروس من التماسك الإيراني

لعل من أبرز الدروس المستخلصة من هذه المواجهة هو مستوى التماسك الاجتماعي والوطني الذي أظهره الشعب الإيراني. فعلى الرغم من الضغوط الاقتصادية، والعقوبات الدولية، وعلى الرغم من وجود معارضة سياسية داخلية، إلا أن الشعب الإيراني وقف صفاً واحداً ضد العدوان الخارجي، هذا التماسك يعكس حقيقة مهمة: أن إيران دولة تضرب جذورها في التاريخ آلاف السنين، وأن شعبها يرى نفسه أمة، لا موطن لها سوى أرضها، مما يجعل السيطرة عليها تاريخياً بالغة الصعوبة. في المقابل، أظهر الكيان الإسرائيلي - الذي تأسس بولادة "قيصرية" غير شرعية - ضعفاً في الإيمان بالمشروع الصهيوني، وموجات هجرة جماعية، مما يكشف عن الفارق البنيوي بين مجتمع متجذر وآخر يفتقر إلى العمق التاريخي، هذا التماسك لم يكن مجرد تأييد للنظام السياسي، بل تعبير عن هوية قومية وثقافية متجذرة، ترى في الدفاع عن الوطن قيمة عليا تتجاوز الخلافات السياسية الداخلية.

إن هذا الدرس مهم للغاية لكل دول المنطقة، بما فيها العراق، إذ يؤكد أن بناء الهوية الوطنية الجامعة، والثقافة الوطنية المتماسكة، هو أهم عناصر القوة في مواجهة التحديات الخارجية. كذلك يؤكد أن الاستثمار في التنمية البشرية والتماسك الاجتماعي ليس مجرد خيار تنموي، بل ضرورة أمنية واستراتيجية.

الخاتمة والتوصيات

تكشف هذه الأوراق الأربع عن حقيقة مهمة: أن منطقة الشرق الأوسط تمر بمرحلة تحول جذرية في موازين القوى، وأن الحرب الإيرانية الإسرائيلية كانت بمثابة اختبار حقيقي لهذه التوازنات الجديدة. فقد أثبتت إيران قدرتها على الصمود والرد الفعال، بينما تراجعت هيبة إسرائيل العسكرية، وظهر تردد أمريكي واضح في الانخراط المباشر.

من الناحية الاقتصادية، تؤكد الأوراق المقدمة أن العراق يواجه تحديات مالية واقتصادية معقدة، تتطلب استراتيجية شاملة للتنويع الاقتصادي، وتقليل الاعتماد على النفط. كذلك تشير إلى ضرورة تطوير البنية التحتية المالية والمصرفية، لمواجهة المخاطر المستقبلية، خاصة في ظل التقلبات الجيوسياسية في المنطقة.

وبحسب تحليل الخبير الدكتور محمد الشمري، فإن هذا الصراع يجب أن يُفهم في إطار أوسع، يشمل البعد الاقتصادي كمحرك أساسي، خاصة الصراع على الممرات التجارية بين مشروع "الحزام والطريق" الصيني، ومشروع الهند المدعوم أمريكياً.

أما على مستوى التعامل مع الحرب من قبل إيران، فقد اتضح التزام إيران بمبدأ التناسب في الرد - إذ تردّ بالمثل من دون تصعيد - يعكس استراتيجية محسوبة ترفض منح إسرائيل امتياز توسيع المواجهة، وهو ما يتماشى مع مبادئ القانون الدولي والعلاقات الدولية المعاصرة.

في هذا السياق، تبرز أهمية الدعوة التي وجهها سماحة السيد عمار الحكيم إلى "الجمهورية الإسلامية في إيران، والجمهورية التركية، والمملكة العربية السعودية، ودول الخليج العربية، وجمهورية مصر العربية، ونحن في جمهورية العراق إلى تمتين علاقاتهم، على وفق مرتكزات صلبة وركائز استراتيجية بعيدة المدى".

إن هذه الرؤية تكتسب أهمية خاصة في ضوء التحليل الذي قدمه الدكتور الشمري حول الموقف العراقي، والذي يستند إلى ثلاثة أبعاد: البعد الشرعي والأخلاقي (رفض العدوان)، وعلاقة الجيرة مع إيران، والبعد الوطني الذي يؤكد أن استقرار المحيط الإقليمي يعني استقرار العراق. فأي تهديد لاستقرار إيران - دولة متعددة الأعراق - سيكون له تداعيات مباشرة على العراق، بينما الهيمنة الإسرائيلية والاقتراب الإسرائيلي يشكل تهديداً أساسياً للأمن القومي العراقي.

إن هـذه الرؤيـة تسـتحق دراسـة معمقـة لجدواهـا وإمكانيـات تطبيقهـا، خاصـة وأن العـراق يمكـن أن يلعـب دوراً محوريـاً كوسـيط بيـن هـذه القـوى الإقليميـة. ومـع مشـاريع البنيـة التحتيـة الكبـرى التـي يشـهدها العـراق، مثـل مشـروع طريـق التنميـة والموانـئ الجديـدة التـي تستثمـر فيهـا تركيـا وقطـر والإمـارات، يمكـن أن تشـكل هـذه المبـادرة فرصـة مهمـة لتحويـل العـراق إلـى مركـز اقتصـادي وسياسـي مهـم فـي المنطقـة.

إن التعـاون الاقتصـادي يمكـن أن يكـون المدخـل الأمثـل لبنـاء الثقـة، وتطويـر التعـاون في المجـالات الأخـرى، بمـا فـي ذلك الأمـن والدفـاع والثقافـة. فالعـراق، بموقعه الاسـتراتيجي، ومشـاريعه التنمويـة الطموحـة مثـل طريـق التنميـة، يمكـن أن يصبـح محـوراً اقتصاديـاً يربـط بيـن أسـواق آسـيا وأوروبـا، ممـا يعـزز مـن قدرتـه علـى لعـب دور الوسـيط الفعـال بيـن القـوى الإقليميـة.

إن التحديـات الماليـة والاقتصاديـة التـي حددتهـا الأوراق المقدمـة تتطلـب تنسـيقاً إقليميـاً وثيقـاً، خاصـة فـي مجـالات أمـن الطاقـة، وحمايـة الممـرات التجاريـة وتطوير أنظمـة الدفع والتحـويلات الماليـة. ولعـل الـدروس المسـتخلصة مـن هـذه الحـرب تؤكـد أن الـدول التـي تعتمـد علـى قدراتهـا الوطنيـة، وتبنـي تحالفـات إقليميـة متوازنـة، مـع تنويـع اقتصـادي حقيقـي، هـي الأقـدر علـى مواجهـة التحديـات المستقبليـة.

أخيـراً، إن هـذه المواجهـة تؤكـد أن عصـر الهيمنـة الأحاديـة قـد انتهـى، وأن المنطقـة تتجه نحـو نظـام متعـدد الأقطـاب. كمـا تؤكـد أن الصـراع الإقليمـي الحالـي هـو جـزء مـن معركـة أوسـع لإعـادة تشـكيل التوازنـات، تشـارك فيهـا قـوى إقليميـة ودوليـة متعـددة، وأن هناك إدراكاً متزايـداً فـي المنطقـة للتهديـد الـذي تمثلـه بعـض المشـاريع، خاصـة المشـروع الإسـرائيلي فـي سـياق إعـادة تشـكيل الشـرق الأوسـط. فـي هـذا السـياق، تبـرز أهميـة بنـاء آليـات للحـوار والتعـاون الإقليمـي تضمـن الاسـتقرار والازدهـار لجميـع شـعوب المنطقـة، وهـو مـا يتطلـب رؤيـة اسـتراتيجية بعيـدة المـدى، وإرادة سياسـية حقيقيـة للتغييـر.

ملاحظـة: هـذه الورقـة مُعـدة بنـاءً علـى مناقشـات شـبكة إنكـي للبحـث العلمـي والأوراق البحثيـة المقدمـة فـي الجلسـة العلميـة المتخصصـة، بمشـاركة الخبـراء الأكاديمييـن والخبيـر الضيـف الدكتـور محمـد الشـمري. وتهـدف إلـى تقديـم رؤيـة تحليليـة شـاملة لتداعيـات الحـرب الإيرانيـة الإسـرائيلية ودروسـها المستقبليـة للمنطقـة.